الفصل التمهيدي

« مشكلة البحث وأهميته »

مقدمة البحث وأهميته :

يعتبر الفقه الإسلامي جامعة رابطة للأمة الإسلامية وهو حياتها تدوم مادام وتنعدم ما انعدم ، وهو جزء لا يتجزأ من تاريخ حياة الأمة الإسلامية في أقطار المعمورة (١). وهو مفخرة من مفاخرها فهو مؤسس على روح العدل والمساواة واحترام الحقوق الخاصة والعامة والنظام الأتم واحترام النواميس الطبيعية ،وقد اعتبر درء المفاسد مقدمة على جلب المصالح ، وسد الذرائع ، والمصالح المرسلة ، ولا ضرر ولا ضرار ، وتقديم الأهم على المهم ، وبنيت أحكامه على الاعتدال لا إفراط ولا تفريط ، واعتبر الأعراف والعوائد ، فأحكامه يتغير الكثير منها بتغير الأحوال (٢). ولقد أثبت الفقه الإسلامي صلاحيته لكل زمان ومكان من خلال استيعابه لكل القضايا والأحداث التي تحتاج إلى حكم شرعي حتى ولو لم يرد بها نص لافي الكتاب ولا في السنة ، وذلك عن طريق الاجتهاد الذى شرع لهذا الغرض ، والذى اتسعت دائرته بعد أن أخضع المسلمون إلى لواء الإسلام بلادا واسعة ، وكان كل بلد من هذه البلدان له ظروف خاصة وحياة اجتماعية معينة وأعراف وتقاليد مختلفة الأمر الذى وضع فقهاء المسلمين في هذه البلدان أمام أحداث وقضايا لم يرد بها نص لا في الكتاب ولا في السنة وهى تحتاج إلى حكم شرعي فركنوا إلى الاجتهاد لاستنباط الأحكام لمثل هذه القضايا والأحداث (٣).

---

(١) محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى : الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامي . ج ١ ، ط ١ ، المدينة المنورة : المكتبة العلمية ، ١٣٩٦هـ ، ص ١١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٣) نظام الدين عبد الحميد : مفهوم الفقه الاسلامى . ط ١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٤/١٩٨٤ ، ص ٧١ .

ولما كان المصدران الأساسيان للفقه الإسلامي هما القرآن الكريم والسنة المطهرة فإن الفقه الإسلامي قد أثّر في التربية بما قدمه علماؤه من ربط التربية بهذين المصدرين .

وكان من أبرز علماء الفقه الإمام أبو حنيفة الذى تضمنت آراؤه وأفكاره العديد من الجوانب التربوية الهامة المشتقة من مصادر التربية الإسلامية الأصيلة والتى منها على سبيل المثال دعوته إلى طلب العلم واعتباره ذلك من أفضل الأعمال على الإطلاق ، فنجده حينما سئل أي الأعمال أفضل . يقول : " طلب العلم "(١) ، ومنها أيضا دعوته العلماء إلى نشر علمهم وبذله لكل راغب فيه احتسابا لثواب الله ومرضاته ، فلقد جاءه رجل بكتاب شفاعة ليحدثه فقال : " ما هكذا يطلب العلم ، قد أخذ الله الميثاق على العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، ولا يكون العلم له خواص وعوام ، ولكن يعلم الناس ويريد الله بتعليمه (٢). ومنها دعوته إلى الرفق بالمتعلمين وحسن معاملتهم حيث كان يرى أن ذلك فضلا عن كونه من آداب المعلم فإنه يزيد من دافعية المتعلم نحو التعلم ، وكان يوصي تلاميذه بذلك حيث يقول لتلميذه أبي يوسف فى وصيته له " وأقبل على متفقهتك كأنك اتخذت كل واحد منهم ابنا وولدا ليزيدهم رغبة في العلم "(٣) إلى غير ذلك من الآراء والأفكار التربوية القيمة التى كانت من بين أهم الدوافع التى دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع .

---

(١) الذهبي : مناقب أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن . ط ٢ ، مكة المكرمة : المكتبة الإمدادية ، ١٤٠٤/١٩٨٤ ، ص ٢٦ .

(٢) الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠١/١٩٨١ ، ص ١٩١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧٣ .

وإذا كان الإمام أبو حنيفة قد تميز بواقعية التفكير والانفتاح على قضايا المجتمع والتفاعل مع تيارات العصر ، وحاول أن يغرس هذه الإتجاهات في نفوس طلابه حيث يقول لأحدهم حينما سأله كيف يجيب من يقول له " لاتدخلن هذه المداخل فإن صحابة نبي الله عليه السلام لم يدخلوا فى شيء من هذه الأمور وقد يسعك ما وسعهم ، فيقول له قل لهم بلى يسعني ما وسعهم لو كنت بمنزلتهم وليس بحضرتى مثل الذى كان بحضرتهم ، وقد ابتلينا بمن يطعن علينا ويستحل الدماء منا فلا يسعنا أن لا نعلم من المخطىء منا والمصيب وأن نذب عن أنفسنا وحرمنا ، فمثل صحابة النبى صلى الله عليه وسلم كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكلفون السلاح ، ونحن قد ابتلينا بمن يقاتلنا فلابد لنا من السلاح ، مع أن الرجل إذا كف لسانه عن الكلام فيما اختلف الناس فيه ، وقد سمع ذلك لم يطق أن يكف قلبه "(١) فمثل هذه الإتجاهات تفرض علينا الكشف عن الطريقة التى عالج بها الإمام أبو حنيفة مشكلات الواقع ومضامينها التربوية .

وإذا كان البعض يهتم بدراسة الشخصيات التربوية العالمية ، فإن هذا حق وواجب ومن الحق والواجب أيضا ونحن نعيش فى مرحلة تأصيل تربيتنا أن نولي الإهتمام الكافي للكشف عن أفكار الشخصيات الإسلامية التى أسهمت في إثراء الفكر التربوي عبر التاريخ ، تأصيلا لفكرنا التربوي وإظهارا لأوجه إسهاماته في تيار الفكر التربوي في محاولة للإستفادة من التجارب الماضية في تاريخنا وتأسيسا لمستقبل موصول بأصول حضارتنا .

إن التعرف على هذه الأصول وتبيان معالمها يمكننا من الوقوف بثبات

---

(١) الإمام أبو حنيفة : العالم والمتعلم (تحقيق محمد رواس قلعه جي ، عبد الوهاب الهندي الندوي) ، ط ١ ، حلب : مطبعة البلاغة ، ١٣٩٢هـ ، ص ٣٢ — ٣٥ .

وفاعلية فى عصر تعاظم فيه التحدى الثقافي والفكرى وازدادت الحاجة فيه الى الانفتاح على فكر العصر وعلومه ، لذا فاننا في أشد الحاجة الى الاسترشاد بالاتجاهات الفكرية والتربوية التى رسمها امثال الامام أبى حنيفة .

تساؤلات البحث :

انطلاقا مما سبق يمكن بلورة تساؤلات البحث في السؤال التالى :

- ما الآراء والافكار التربوية التى تضمنها فكر أبى حنيفة ؟

وتتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة هي :

١ - ما الاطار الثقافي الذى نشأ في ظله أبو حنيفة ؟

٢ - ما النظام التربوى والفكرى الذى كان سائدا فى عصره ؟

٣ - ما المصادر والأصول التى اعتمد عليها فيما نادى به من أفكار وآراء تربوية ؟

٤ - ما مدى تلبية آرائه وأفكاره التربوية لحاجات عصره ؟

٥ - ما الآثار التى أحدثتها آراؤه وأفكاره التربوية فى المجال التربوي في زمانه ؟

٦ - الى أى مدى يمكن الاستفادة من آراء أبي حنيفة وأفكاره التربوية في العصر الحاضر .

منهج البحث :

يستخدم الباحث :

١ - المنهج التاريخى :

لدراسة شخصية الامام والعوامل والقوى والمتغيرات التى أثرت في فكره وكونته .

٢ - المنهج التحليلي :

خاصة في جانبه الكيفي ، لتحليل أفكار الامام وآرائه واستخراج مافيها من مضامين تربوية ، استنادا الى مبادىء التربية الاسلامية كما جاءت في القرآن والسنة ، وعلى ضوء متغيرات عصر الامام .

تعريف المصطلحات :

المضامين التربوى لفكر الامام أبي حنيفة : أى ما انطوى وما اشتمل عليه فكره من آرء وأفكار تربوية(١).

الغرض من البحث :

لقد لقى فقه الامام أبي حنيفة الكثير من الاهتمام ، الا أن الجانب التربوى عنده لم يأخذ حقه من البحث والدراسة الجادة .

وللامام أبي حنيفة الكثير من الآراء والأفكار التربوية القيمة التى تدل على مكانته ومنزلته في التربية وهى جديرة بالدراسة .

ولهذا فان الغرض من البحث هو الكشف عن الاراء والافكار التربوية التى نادى بها أبو حنيفة صراحة أو ضمنا ، للاستفادة منها في حل بعض مشكلاتنا التربوية الراهنة ، ويزيد من أهمية هذه الدراسة ان الامام أبا حنيفة قد ظهر في عصر فيه كثير من المتغيرات كما هو الشأن في عصرنا واستجاب فكره لهذه المتغيرات من منطلق اسلامي.

---

(١) انظر معنى كلمة المضمون : ابن منظور : لسان العرب . ج ١٣، بيروت : دار صادر (ب . ت) ، ص ٢٦١ .

الدراسات السابقة :

١ - الدراسة الأولى : للدكتور ماجد عرسان الكيلاني بعنوان : (تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية)[١] وقد تتبع الباحث خلال هذه الدراسة تطور النظرية التربوية الإسلامية منذ القرن الأول الهجري وحتى العصر الحديث .

وقد قسم الباحث هذه الدراسة إلى عدة فصول بين في كل فصل كيفية تطور النظرية التربوية الإسلامية خلال قرن أو قرنين على التوالي .. وفي الفصل الثالث من هذه الدراسة تناول (النظرية التربوية الإسلامية في القرن الثاني الهجري) حيث تعرض الباحث في هذا الفصل لذكر عوامل تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية في ذلك القرن .

وقد ذكر الباحث خلال ذلك أهم الآراء التربوية لعدد من علماء ذلك العصر ومن بينهم الإمام أبو حنيفة .

ويمكن تلخيص آراء أبي حنيفة التربوية التي وردت في هذه الدراسة في النقاط الآتية :

أ - دعوة أبي حنيفة إلى تنظيم منهاج يجعل المتعلم يعيش عصره فكرا وثقافة ويسلحه بما يجابه به التحديات التي تواجهه .

ب - ضرورة اطلاع المتعلم على تيارات عصره وتعريفه بالخاطئ من الصحيح منها .

---

(١) ماجد عرسان الكيلاني : تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية . ط ٢. عمان : جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٨٣م ، ص ٨٥ - ١٠١ .

ج ـ دعوته المتعلم إلى التفرغ للعلم تفرغا كاملا وعدم الانشغال بأعراض الدنيا .

وكما نرى فإن هذه الدراسة لم تورد سوى هذا الجزء اليسير من آراء أبي حنيفة التربوية إلى جانب بعض الآراء التربوية الأخرى لغيره من العلماء الذين عاشوا في ذلك القرن لابراز مظاهر تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية في القرن الثاني الهجري.

٢ ـ الدراسة الثانية : للدكتور رضوان السيد قدمها في مؤتمر التربية الإسلامية المنعقد في بيروت من ١٠ ـ ١٦ جمادى الأولى ١٤٠١هـ الموافق ١٥ ـ ٢١ آذار ١٩٨١م وهي بعنوان : كتاب العالم والمتعلم لأبي حنيفة والمنهج التربوي الإسلامي (١) حيث لخص فيها أهم آراء أبي حنيفة التربوية التي وردت في الكتاب مع الاشارة إلى بعض الجوانب التربوية الأخرى التي تضمنتها وصيته لتلميذه أبي يوسف .

وتتمثل تلك الآراء فيما يلي :

أ ـ ضرورة النظرية في التربية وهي ما يعبر عنه أبو حنيفة (بالعلم) كمقدمة للعمل الصحيح ، إذ أن الوضوح النظري عاصم من كثير من أسباب الخطأ في التعرف و الخطل في التفكير كما أنه يمكن من القدرة على التفاعل الاجتماعي ، ويعين على التوجه الصحيح والصدق في تمييز الحق من الباطل والوقوف إلى

---

(١) رضوان السيد : كتاب العالم والمتعلم لأبي حنيفة والمنهج التربوي الاسلامي . مؤتمر التربية الاسلامية المنعقد في بيروت من ١٠ ـ ١٦جمادى الاولى ١٤٠١هـ ، الفكر التربوي الاسلامي.الكتاب الثاني. بيروت :دار المقاصد الاسلامية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٩ ـ ٣٤ .

جانب الحق .

ب - مناداته بمشروعية إعادة النظر والتفكير وعدم اتخاذ موقف سلبي من الجديد .

ج - تحديد واجب العالم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونشر العلم .

د - آداب السلوك الاجتماعي للعالم .

علما بأن هذه النقاط جاءت في هذا البحث على شكل منثورات مختلفة وهى في حاجة إلى تنظيم ، كما أن الاقتصار على مؤلف واحد لأبي حنيفة لايمكن أن يبرز فكره التربوي بشكل متكامل .

٣ - أما الدراسة الثالثة فهى لإلهام عزمي عبد الفتاح بكرى بعنوان: " نماذج من بعض آراء الإمام أبي حنيفة التربوية "[1]. وقد قامت الباحثة بتقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة على النحو التالي:

الفصل الأول : تناولت فيه الباحثة بإيجاز عصر الإمام أبي حنيفة وحياته .

الفصل الثانى : وهو الفصل الرئيس من البحث فقد تناولت فيه الباحثة بعض آراء أبي حنيفة التربوية والتى تمثلت فيما يأتي :

---

(١) الهام عزمي بكرى: نماذج من بعض آراء الإمام أبي حنيفة التربوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ١٤٠٦/١٤٠٧هـ .

أ - الجانب العقدي عند الإمام أبي حنيفة .

ب - مفهوم العلم عند الإمام أبي حنيفة .

ج - العالم والمتعلم عنده .

د - مفهوم المنهاج وطرائق التدريس عنده .

هـ - المبادىء التربوية .

و - المبادىء الاجتماعية .

أما الفصل الثالث فقد خصصته لمقابلة آراء أبي حنيفة بآراء مفكرين آخرين . وكما هو واضح فإن هذه الدراسة قد اقتصرت على عرض نماذج من آراء أبي حنيفة التربوية . و بالتالي فإنا في حاجة إلى التعرف على فكر أبي حنيفة التربوي بشكل متكامل من خلال إبراز آرائه وأفكاره التربوية التى نادى بها صراحة أو ضمنا حيث حاول الباحث تحقيق ذلك من خلال بحثه .

وقد استرشد الباحث بما جاء في هذه الدراسات في بحثه وخصوصا الدراستين الأوليين ، أما الدراسة الأخيرة فكانت الاستفادة منها محدودة ، وذلك لأن الباحث لم يعثر عليها إلا فى وقت متأخر من إعداد البحث ، كما أن ما ورد في هذه الدراسة من آراء وأفكار تربوية للإمام أبي حنيفة قد شملها البحث الحالي إلى جانب آراء وأفكار أبي حنيفة التربوية الأخرى التى لم تتعرض لها الباحثة في دراستها . بالإضافة إلى الاختلاف بين الدراستين في طريقة معالجة الموضوع وفي الجوانب التى تناولتها كل منهما .